

آيات قبل الساعة

روى مسلم قائلًا: «حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ، زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيَّ - وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ - قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ فُرَاتِ الْقَرَّازِ، عَنْ ابْنِ الطَّفِيلِ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: أَطْلَعَ النَّبِيُّ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ. فَقَالَ: «مَا تَذَكَّرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ». فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالْجِبَالَ، وَالْدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسَفَ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسَفَ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسَفَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ. وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»⁽¹⁾.

وقال: «حَدَّثَنَا عُيَيْنَةُ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ. حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ فُرَاتِ الْقَرَّازِ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ. فَأَطْلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَا تَذَكَّرُونَ؟» قُلْنَا: السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرَ آيَاتٍ: خَسَفَ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسَفَ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسَفَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالْدُّخَانُ، وَالْجِبَالَ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ

عَدْنِ تَرْحُلُ النَّاسَ». قَالَ شُعْبَةُ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ، مِثْلَ ذَلِكَ. لَا يَذْكُرُ النَّبِيَّ. وَقَالَ أَحَدُهُمَا، فِي الْعَاشِرَةِ: نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. وَقَالَ الْآخَرُ: وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ⁽¹⁾.

وروى كذلك: «وحدثناه مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ فُرَاتٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الطَّفِيلِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ فِي غُرْفَةٍ. وَنَحْنُ تَحْتَهَا نَتَحَدَّثُ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ. بِمِثْلِهِ. قَالَ شُعْبَةُ: وَأَخْبِسُهُ قَالَ: تَنْزِلُ مَعَهُمْ إِذَا نَزَلُوا. وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا. قَالَ شُعْبَةُ: وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ. وَلَمْ يَرْفَعُهُ. قَالَ: أَحَدُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ: نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. وَقَالَ الْآخَرُ: رِيحٌ تُلْقِيهِمْ فِي الْبَحْرِ⁽²⁾.

وروى: «وحدثناه مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعِجْلِيُّ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ فُرَاتٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الطَّفِيلِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ، قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ. فَأَشْرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. بَنَحُو حَدِيثَ مُعَاذٍ وَابْنِ جَعْفَرٍ. وَقَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ. بَنَحُوهُ. قَالَ: وَالْعَاشِرَةُ نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. قَالَ شُعْبَةُ: وَلَمْ يَرْفَعُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ⁽³⁾.

شرح للنووي؛

وننقل أولاً شرح ما في الأحاديث من إشكالات ومعاني ألفاظ عن شرح النووي؛ يقول:

(1) السابق: نفسه.

(2) السابق 8/ 179، 180.

(3) السابق 8/ 180.

قوله: عن حذيفة بن أسيد هو بفتح الهمزة وكسر السين. قوله: عن ابن عيينة عن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد، هذا الإسناد مما استدركه الدارقطني وقال: ولم يرفعه غير فرات عن أبي الطفيل من وجه صحيح قال: ورواه عبد العزيز بن ربيع وعبد الملك بن ميسرة موقوفاً هذا كلام الدارقطني وقد ذكر مسلم رواية ابن ربيع موقوفة كما قال ولا يقدح هذا في الحديث، فإن عبد العزيز بن ربيع ثقة حافظ متفق على توثيقه فزيادة مقبولة.

قوله ﷺ في أشراط الساعة: (لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال) هذا الحديث يؤيد قول من قال: أن الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام، وأنه لم يأت بعد، وإنما يكون قريباً من قيام الساعة وقد سبق في كتاب بدء الخلق قول من قال هذا، وإنكار ابن مسعود عليه وأنه قال: إنما هو عبارة عما نال قريشاً من القحط حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهيئة الدخان، وقد وافق ابن مسعود جماعة وقال بالقول الآخر: حذيفة وابن عمر والحسن ورواه حذيفة عن النبي ﷺ وأنه يمكث في الأرض أربعين يوماً، ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار. وأما الدابة المذكورة في هذا الحديث فهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: 82]. قال المفسرون: هي دابة عظيمة تخرج من صدع في الصفا وعن ابن عمرو بن العاص أنها الجساسة المذكورة في حديث الدجال. قوله ﷺ: (وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) وفي رواية: (نار تخرج من قعرة عدن) هكذا هو في الأصول قعرة: بالهاء، والقاف مضمومة ومعناه: من أقصى قعر أرض عدن، وعدن مدينة معروفة مشهورة ظاهراً قال الماوردي: سميت عدناً من العدون، وهي: الإقامة لأن تبعاً كان يحبس فيها أصحاب الجرائم، وهذه النار الخارجة من قعر عدن واليمن هي الحاشرة للناس، كما صرح به في الحديث. أما قوله ﷺ في الحديث الذي بعده: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى) فقد جعلها القاضي عياض حاشرة. قال: ولعل ناران

للناس في القرآن، فهو من الجبال هاهنا وليس من السماء، وانحدار عيسى من الأعالي هو نزول، فربما كان انحداره من بعض المرتفعات في بلاد الشام، ونحن نجزم بأنه قد رفعه الله إليه بمعنى أنه قد رفع روحه بالقبض فتوفاه إليه سبحانه، وأنه كان قد هرب من اليهود وعاش مستتراً لا يعلم اليهود ومكانه حتى قبضه الله إليه، ودُفن في قبر، وأن الله سبحانه سيحييه - وهو القادر على كل شيء - ثم يبعثه لقتل الدجال، وأنه سيحكم بشرعة المسلمين كما أراد الله أن يُحكم بها، ثم يموت ويدفنه المسلمون بعد أن يؤمهم عقوداً من الزمان لتطبيق شرع الله وإعادته إلى الأرض⁽¹⁾.

وليس صحيحاً ما ذهب إليه بعض الباحثين في رسالة له زاعماً أن المهدي هو فكرة غير صحيحة وأنه إن صحت الأحاديث فيه فإنه يحمل على أنه عيسى ابن مريم، فالمهدي شيء وعيسى شيء آخر، ولكل زمانه ومكانه.

(1) وقد بينا هذا بتفاصيله في كتاب لنا عن الأساطير قَيَّدَ الطبع.